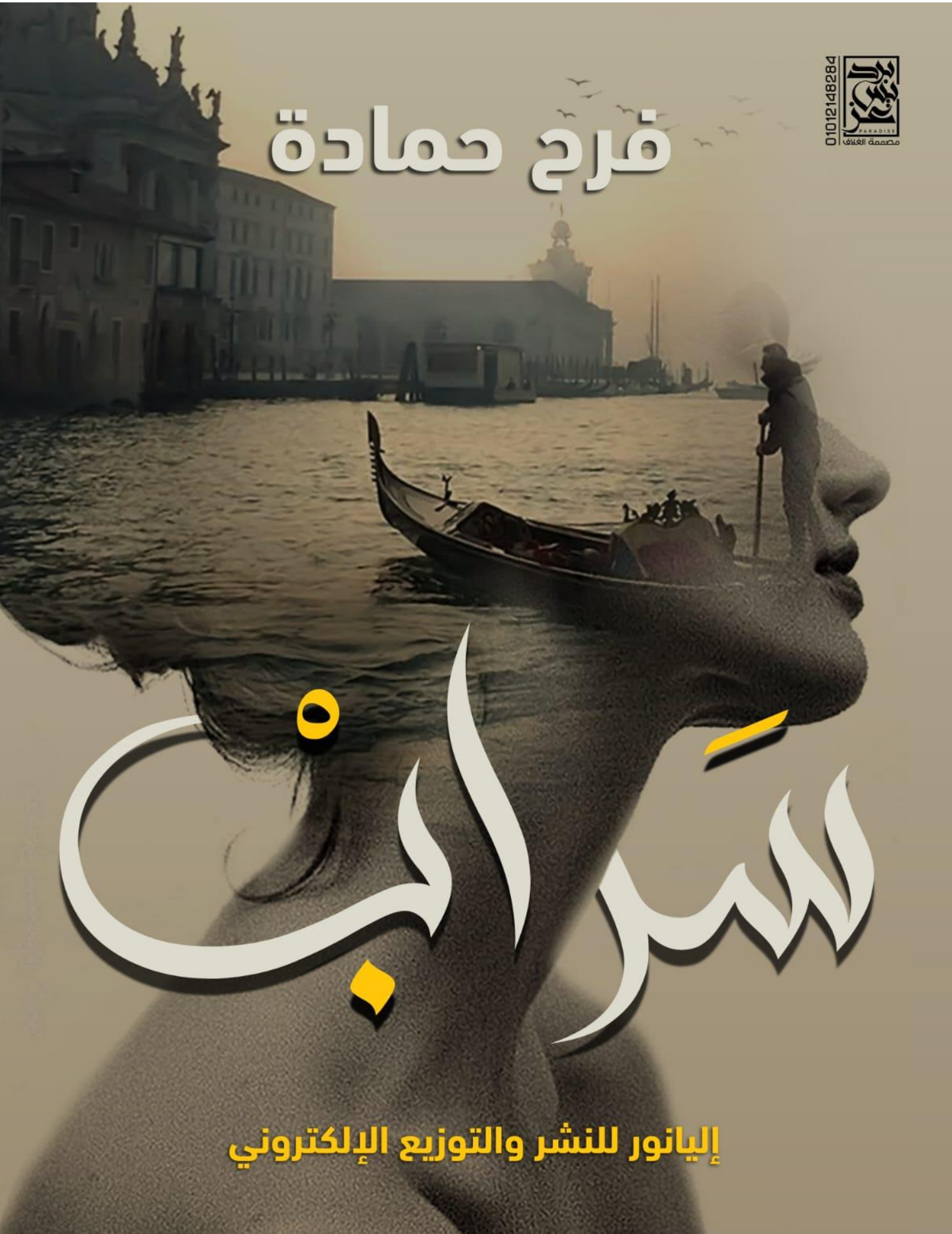
فرح حمادة
سَرَاب
إليانور للنشر والتوزيع الإلكتروني

- كتاب: سراب

- تأليف: فرح حمادة

- النوع: خواطر

- تنسيق: اينور جلال

- تصميم: برديس

- دار: اليانور للنشر و التوزيع الإلكتروني

- رقم الدار: 01151293168

خص ذو الابتسامة المبهجة، والقلب السعيد، والروح الهائمة في بحر من البهجة والسرور، أمَّا الشخص ذو الوجه الشاحب، والعيون المنطفئة من البكاء، المعزول تمامًا عن البشر، الوحيد الذي لا يملك سوى البكاء، ليس لديه رفيق ولا حبيب، شخصٌ كل هدفه التخلص من حياته البائسة.

فرح حمادة

ياليت عند الوداع تذكرت أن الذي بيننا لا يهدم.

أنا وأنت متى تجمعنا الأيام؟ أنا كبرت بهذا البعد أعوامًا. لوّحت له بيدي مودِّعًا ولا يعلم كم يدًا في قلبي لوّحت له بالبقاء، ودعته عند الغروب ملوحًا، ومن يومها كل الزمان غروب، من وداعك لازلت أتألم.

فرح حمادة

ليست مزحة، ولم تكن أبدًا يومًا كذلك، أنا أخوض صراعًا كل يومٍ من أجل أن أبقى شخصًا لطيفًا مع الجميع، أحاول تجنب حقيقة أن الواقع في غاية التعاسة، أنهض كل يوم دون رغبة في مغادرة الفراش، أقاوم اضطرابات وذكريات لم أنسها، تفاصيل ما زالت عالقة في ذاكرتي، أنا أقاوم حياتي، أقاوم رغبتي في التّرك والرحيل عن كل شيء.

فرح حمادة

لقد تغيّرتِ يا أمي، لم أعد ذلك الطفل الثرثار الذي يُضجر الجميع من كلامه، والذي يجعل كل من يراه صديقًا له، لم أعد ذلك البريء، لقد لطختني الدنيا بسوادها، فبياضي قلّ، وسوادي ظهر في أرجاء حياتي.

قلّلت أصدقائي يا أمي، وأصبحت صديقاً لنفسي، ولم أجد صديقاً مثلكِ. لهذا أتمنى أن أعود صغيراً وتعودي صديقتي الوحيدة.

فرح حمادة

في زحام البشر أجدني، وكيف أجدني؟

آه من ذلك الوجود المزدحم، به هروب نفسي مني وجنون الأفكار، به قلقي. رغم ازدحام الجميع، لكنني بمفردي.

أنا أصارع نفسي بمفردي، أنا صاحبة الثانية عشرة ليلاً بمفردي. أنا تلك القيود لأصحاب الهاربة من النفس، أنا التي حكمت على نفسها بالمواجهة.

وآه من مواجهة النفس بعد الثانية عشرة ليلاً، وآه من عتابها.

فرح حمادة

كنتُ استغرقت في وحدة عميقة، حتى أصبحت في لحظة وكأنني غريب عن العالم كله، فأنا هنا بين هدوء الكلمات وصراع الأفكار.

فرح حمادة

لم أعد أعرفني، لكنني أعرف السبب الذي أوصلني لهذا، وأشعر أن الحياة وكل من عرفته، مدين لي باعتذار، لم يمر في حياتي أحد، إلا وكسر شيئًا ما.

فرح حمادة

رغم سني، إلا أنني واجهت أكثر مما أستحق. من المؤسف أن أتجرح كثيرًا، وأن أتألم كثيرًا وأنا بريئة، لا أعلم لماذا هذه الآلام لا تتوقف أبدًا.

فرح حمادة

من على المرآة؟

أقف أمام المرآة ينتابني شعور بالجزع، أي كائن هذا؟ إنه!!

لا، لستُ أدري كيف أصفه، ولكنّي أميز فيه شيئًا: هناك طفلة صغيرة محتجزة بداخله، إنها تبكي وتنوح، كيف أساعدها؟ تأتي صفعة تدمي وجه تلك الطفلة، لست أدري من هو مصدر تلك الصفعة. ضربات متتالية تكاد تقتل الطفلة. يبتسم ذلك الكائن، أهرب أنا وأعود لقوقعتي أحتضن وسادتي محاولةً نسيان ما رأيته، لحظة واحدة، أكان من المفترض أن أكون ذلك الكائن؟

أظن أنني قد أُصبتُ بمرض الموت، لست أدري، أسئلة كثيرة لا أعلم لي بجوابها وأخيرًا أشد على وسادتي وأغفو.

فرح حمادة

كل شيءٍ ينكسر لا يعود كما كان. وحتى الصخور تتفتت ولكنها لا تعود كما كانت، لا تظن أن كلامك البسيط لا يكسر أحدهم، اختر كلماتك بعناية، فحتى الماء يكسر، وهو أساس الحياة، ويقتل البشر حين يغرقهم.

فرح حمادة

أيتها الأيام القادمة، مري علينا بسلام، فقلوبنا جداً متعبة ومرهقة، أرهقتها الحظوظ، وأتعبتها التراكمات التي نالت من سفينة الود. وأصبحت أرواحنا تعاني من الوجع، ووجع الروح هو أنين لقلب صامت يمنعه كبرياء العقل عن البوح بآلاف الكلمات، والتي تعجز الجوارح عن التعبير عنها، وجع الروح يتمثل في ضحكةٍ دون فرح، في حديثٍ دون رغبة، في بكاء القلب دون دموع، إنه اختلاط مشاعر.

فرح حمادة

يجب أن أتوقف عن الاهتمام، الاختلاط، المساعدة، لقد بدأ الأمر يرهقني، تقديم كل ما أستطيع، والحصول في المقابل على كمية من الكره، النقد، النميمة وسوء الفهم، أصبح لا يُطاق. من هم البشر ليقودوني للجنون؟ كائنات لا تختلف كثيرًا عن بقية مخلوقات الأرض. الفارق لديهم لغة تفهم، عقل من المفترض أن يعمل بالطريقة التي أستطيع استيعابها، لا يختلفون بكونهم أفضل من بقية الكائنات، هم مختلفون لكونهم أسوأ بكثير، في كل دقيقة تمر يصنعون أبشع المواقف، أبشع المشاعر داخل بعضهم حتى يمزقوا وتيرة الوجود، أنا لا أطيقهم، والأسوأ كوني أنحدر من ذات الفصيلة التكوينية. هذا يجعلني أرغب في تمزيق جسدي، أعضائي، قطعةً قطعةً لأتخلص من أوجه الشبه المقرف، ألا يمكن لعقلي أن يوقف تدفق الأفكار؟ لا أعلم، ولكن أنا لا أريد التواجد في هذه الحفرة البغيضة المسماة بالحياة.

فرح حمادة

في كثير من الأحيان نشعر بالوحدة، بالرغم من وجود الآلاف من حولنا نشعر بالفراغ، ذلك الفراغ الذي لا يستطيع أن يفهمه أحد سوانا. نتعايش معه، لأنه ليس هناك باليد حيلة.

لماذا لا نستطيع تفسير ما بداخلنا؟

أرهقتنا، لم نعد نرغب في تفسير أي شيء لأي أحد، كل ما نريده هو أن نحتفظ بكل تلك الآلام لذاتنا، لأننا ندرك تماماً أنه يمكننا التعايش مع كل تلك الآلام التي نشعر بها، نضجنا وكبر عقلنا، وتجاوزنا وتعلمنا. تعلمنا كيف نتجاهل، تعلمنا كيف نتخطى، والأهم، كيف نتعايش وكيف ننسى.

فرح حمادة

لا محاولات، لا شغف، لا رغبة بالحياة. كل شيء فيّ تلاشى، حتى كان حزني يتجدد بلا توقف، وكنت أجد نفسي أكثر ضياعًا في نظري.

فرح حمادة

حالة هدوء مميتة وملل يفرق كل شيء خمول، واشتياق، وفكر مبعثر جدًا، شعور بائس ومتعمق بالعزلة، ولكنني أحببتها.

والأشد حزنًا من أن تكون وحيدًا، هو أن لا يكون بمقدورك أن تعيش يومك بشغف، أن تتمنى العزلة عن العالم والبكاء، ولا تستطيع ذرف الدموع.

تبقى وحيدًا بالرغم من كل أنواع الزحام التي تحيط بك، رغم حديثك الطويل مع الآخرين، تبقى منعزلاً بنفسك حتى وإن خالطت الجميع.

فرح حمادة

أتعلم ما هو الظلام؟

نعم، إنه السواد. كلا، ليس كذلك. ماذا إذًا؟ الظلام شخصية تؤدي دورين: دور ظلام الجسد ودور ظلام الروح، فهي تعيش الظلام عندما تعالج جروحها من ألم روحها، وتعيش الظلام عندما تتبرج بجسدها.

فرح حمادة

يؤلمني شيء لا أعرفه. ربما وداع قديم لم أبكيه، ربما حزن قديم لم أشكوه، ربما ذكرى استيقظت فجأة، ربما مجرد ألم اعتدت عليه فأصبح يعدني رفيقًا له.

لا أعلم، لدي الكثير من الأحزان المتراكمة، لا أعلم أيها يؤلمني الليلة.

أعني: كم تلويحة وداع حبستها عند الفراق، عزيز، وكم دمعة كتمتها، وكم جرح ادعيت أنه خدش، لم أعد أريد هذه الصلابة، أريد حقي من الهشاشة الآن، الآن أريد أن أبكي.

فرح حمادة

رحلت، وحين رحلت لم يعد هناك شيء يُذكر. فقد عشت الصمت لأيام عديدة، وعندما مررت بالطرق التي مشينا بها سويًا وعشت الذكريات من جديد، كنت أود إخبارك عن مشاعري وقتها، لكن لم أستطع أن أتكلم، لا أعرف كيف عليّ أن أخبرك عن فراقك، فحين رحلت كنت أبحث عنك في جميع الأماكن ولم أجدك. لا أعلم كيف لي أن أتي وأضع ناري عندك وأنت من أشعلها، لقد رحلت وتركتني مع الذكريات، لو كنت قد أخذتها معك ثم رحلت، فأنت حين ذهبت، حاولت نسيانك بكل الطرق، لكنك نسيت أن تأخذ شيئًا مهمًا جدًا معك لكي أنساك. نسيت أن تأخذك مني.

*فرح حمادة*_

أفتقدك

مر وقت طويل منذ آخر مرة تبادلنا فيها الحديث، حين كنت أستند على كتفك وأهديك كلمات تخفف عنك، وأنت تدعمني وتقول لي دائمًا: "أنا هنا". مر وقت طويل، سكب الأرق تحت أعيننا وسَرّح الضحكات من أعماقنا، مر الكثير على لهفة القلب، ورعشة الجسد، والتوتر عند لقائنا، وشروق الحب بعد غروبه الطويل عنا.

مر وقت طويل ولكنه لا يزال يمضي، لكنه لن يمنع تلك الدقائق من الدخول بيننا ليستفزني هذا الغياب وأقول: "أفتقدك"، ولن يمنع قلمي من رسمنا متعانقين رغم المسافات بيننا، مر وقت طويل على حياة معك، أفتقدك حين يأتي الليل بلا صوتك، بلا دفئك، أبحث عنك في كل مكان.

*فرح حمادة*_

في يوم من الأيام، كنت ألعب مع أمي لعبة الغميضة، وكنت خائفة من أن تختبئ في مكان لا أستطيع العثور عليها، وأخسر اللعبة، لكن ما حدث جعلني أخسر لسنوات في تلك اللعبة، ففي ذلك اليوم ذهبت أمي لتختبئ، وذهبت أنا ووقفت في الزاوية وأغمضت عيني وبدأت أعد: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة... أنا قادمة يا أمي.

بحثت هنا وهناك وما زلت أبحث وما زلت أعد، لكنني لم أصل إلى رقم عشرة، منذ ذلك اليوم أخاف من أن أصل ولا أجدها.

*فرح حمادة*_

لشخص ما

كنت سأعود لك، لو أنك منحتني تعبيرًا بسيطًا، يشعرني بأنك آسف على هذا الخراب الذي خلقته بداخلي، لكنك لم تفعل، وبالتالي وجب عليّ الغياب.

*فرح حمادة*

رسالة لمجهول

هل تعلم أن كل جزء في روحي مشتاق لك؟ بدأت أشعر أن حياتي فارغة وأن مشاعري تعيش على سطح الحياة، لم أدخل للعمق إلا بوجودك معي، ولم أعلم ما هو الدفء إلا بين أضلعك.

افتقدت نفسي معك، لحظة رحيلك شعرت أن شيئًا في داخلي تحطم أو أصبح معدومًا، حتى إني كبرت كثيرًا، كبرت وأنا أعيش على ذكرى بسيطة احتوتني في يوم من الأيام.

منذ أن أصبح الفراق وسيطًا بيني وبينك، وأنا أحتفظ بالأسرار وأحتفظ بكل شيء، أخاف من فكرة أن يحتويني شخص غيرك.

كنت حين أعود إلى المنزل أبحث عنك في أرجاء المنزل، أنادي باسمك ثم أعود للصمت من جديد. في داخلي أمور عديدة كنت أود مشاركتها معك، فقدت جزءًا من روحي منذ أول خطوة أبعدتني فيها عنك.

*فرح حمادة*

أحن إليك

أحن إليك وأسأل عنك المدينة ليلًا، لعل الشوارع تذكر يوم مررت عليها، ومرت عليك وأكملت سيرك دون التفات، ولم تدر من ضاع في خطوتيك، أحن إليك.

وتعود أنت لغيري وأعود أبكي بحضن سواك عليك، يؤنبني في سواك ضميري، فكل ضمير يعود إليك، أحن إليك.

*فرح حمادة*

رسالة وداع الأخيرة

علينا أن نفترق، كل شيء حولنا يؤكد أن عليّ أن أسلك طريقًا غير طريقك.

ربما تراني ضعيفة، لكنني استُهلكت، لم أعد أتحمل الضغوط، يكفي أنني أحملك بين ثنايا قلبي.

أنت لا تعلم شيئًا عن ألمي.

فأنا أعلم أنك أحببتني بشدة.

أعلم أنك على استعداد أن تضحي بكل شيء من أجلي، وأنك تحارب العالم من أجل حبنا. صدقني، أعلم كم أنت رائع.

سأكون كاذبة لو قلت غير ذلك، ولكن علينا أن نعتاد على الفراق، وعليك ألا تنتظر عودتي مرة أخرى. "عليّ ألا أطيل النظر في عينيك التي تشبه القهوة في صفائها".

ارحل، أنا لا أريدك مرة أخرى.

هذه رسالة وداع الأخيرة، ابقَ بخير من أجلي.

من عزيزتك التي لم تعد عزيزتك بعد الآن، التي أحببتها بصدق.

*فرح حمادة*

أطلق سراح قلبي وارحل

ارحل، فلم أعد أحتاجك، حتى وإن قلت إنني مخطئة. فخطئي الأكبر أنني أدخلتك حياتي، قربتك من روحي وجعلتك تحتل قلبي، قلبي الذي أغلقته في وجه الجميع منذ سنين. اذهب واتركني وحدي، لقد قتلت بداخلي لك كل حنين. اذهب واتركني، أنا تعودت على الوحدة، تعودت على الخذلان والانكسار، بداخلي نار حائرة بين يديك وبين قدري، دعني للذكرى وأيام الخيال.

*فرح حمادة*

ما زلت أذكرك وأنت بجانبي وأنا أكتب كلماتي مغلَّفةً بحبي لك، لتبقى ذكرى جميلة في الخيال عابرةً بين نبضاتي. ربما كنتَ تليق بقلبي منذ أعوام، أما الآن فأنا قد تغيرت. أشكرك على أيامنا سويًا، وعلى حنانك واهتمامك بي، أتمنى لك كل الخير والسلام والسكينة، ولكن بعيدًا عن قلبي. سامحني وألتمس الأعذار.

*فرح حمادة*

الفراق

لا تهوّنوا من الفراق ولا تخبروا البشر كذبًا عن سهولة التخلي، وأن البُعد سعادة ونضج وقوة. بل قولوا لهم قولًا حقًا صادقًا، وأخبروهم أن فراق الأحبة يعادل آلام الموت، وأن القلوب تشيخ وتصبح مليئة بالتجاعيد، وأن وجودك مع من تحب كقنديل مضيء في عتمة قلبك، وتنطفئ روحك إن غادرك.

*فرح حمادة*

نحن لا نعرف قيمة بعضنا إلا في النهايات.

أن تقدم وردة في وقتها خيرٌ من أن تقدم كل ما تملك بعد فوات الأوان. أن تقول كلمة جميلة في الوقت المناسب خيرٌ من أن تكتب قصيدة بعد أن تختفي المشاعر، أن تنتظر دقيقة في الوقت المناسب خيرٌ من أن تنتظر ساعة بعد فوات الأوان. لا جدوى من الأشياء التي تأتي متأخرة عن وقتها كقبلة اعتذار على جبين ميت.

*فرح حمادة*

حين رأيتك

ثم أدركت فجأةً أنك كنت تلمع في عيني فقط. أني كنت أراك بقلبي، وحين رأيتك في عيني، بدوت عاديًا جدًا، باهتًا، وما أنت إلا ظلام. لملم ظلامك وارحل، لا أريدك أن تعود.

*فرح حمادة*

غيابه

أتحبينه؟

= لا أدري.

ولكن غيابه يجعل وجوه الناس شاحبة، ورائحة الهواء مغبرة.

إذا فأنتِ تحبينه!

= دعك من تضخيم الأمر. فقط غيابه يبدو كثقب أسود يبتلع ألوان الكون حين يطل علي، ثم يعيد ما اختلسه من البهجة حين تعود!

بالتأكيد أنتِ تحبينه.

= دعنا لا نتسرع في الحكم. كل ما في الأمر أن غيابه غريبتي.

*فرح حمادة*

صدقني، أنا لا أكرهك، ولا أتمنى أن يصيبك أي أذى. عاطفتي لك كانت ولا تزال صادقة، وأنت تعني لي الكثير، كل ما في الأمر أنني ما استطعتُ أن أنسى، وأنك عاملتني كغريب، وهذا قلبي؛ قلبي الذي مزقته يقف بينك وبيني.

*فرح حمادة*

إن الفقد ذو ألم شاسع، كلما قلت اعتدته وخز قلبك من جهة لا يمكنك تسكين وجعها، لا شيء يسعفك لتشفى.

*فرح حمادة*

تفارق ولا تفارق

تصمت ويبقى صوتك في أذني، وتغيب وتبقى صورتك في عيني، وترحل وتبقى أنفاسك في قلبي، وتختفي ويبقى طيفك يمزقني، أن أغمض عيني فأراك، وأن أخلو بنفسي فأراك، وأن أقف أمام المرآة فأراك، وأن ألمح هداياك فأراك، وأن أقرأ رسائلك فأراك، وأن أبحث عن عطرك في ضفائري، وأن أبحث عن عطرك في يدي، وأن أبحث عن عطرك في أحلامي، وأن أبحث عن طيفك في الطرقات، وأن أبحث عن عطرك بين الجدران، فلا أشم سوى رائحة الغياب، أن أرسم وجهك في سقف غرفتي، وأن أحاورك كل ليلة كالمجانين، وأن أشد الرحال إليك عند الحنين، وأن أعود إلى سريري في آخر الليل فأبكيك، أن يأتي العيد وأنا وحدي، وأن يأتي الربيع وأنا وحدي، وأن تهطل الأمطار وأنا وحدي، وأن يطرق الحنين بابي وأنا وحدي، وأن يمضي بي أجمل العمر وأنا وحدي، مسافرة غريبة أعالج قلبي من ندوب فقدك لأموت في وطن غريب بعيد عن كل من أحبوني. هذا هو الحزن.

*فرح حمادة*

»ويبقى أثر الخذلان«

أتعلم ماذا يعني أن تعيش غريبًا في وطنك، أن تصبح حرًا في قفص؟

أيُعقل كيف يصبح الإنسان حرًا في قفص ممتلئ بالوحوش فيأتيه شخص على هيئة ملاك، يظنه سيساعده ولكن يرمي المفتاح بعيدًا ويرحل؟

أيُعقل كيف يعيش من عاش شعور الخذلان في قفص من الوحوش؟

*فرح حمادة*_

في الفترة الأخيرة اكتشفت أن ما يؤلم القلب حقًا ليس فراق الأحبة ولا الموت، ما يؤلم القلب والروح هو أن تكون بلا سند، أن يبقى ظهرك عاريًا ولا يوجد من يحميك، أن تعيش في خيبة لفترة طويلة، خيبة من نفسك، من أهلك، من أصدقائك، ومن كل شيء. أن تتوقع وتنصدم بما لا يخطر على بالك، أن تثق بأن شخصًا ما سيحمي ظهرك ويدافع عنك في غيابك، ثم ترى في غيابك الخذلان المميت. الموت أهون من أن تُخذل، وأهون من أن ترى أنك دفعت عمرك بلا شيء، وأهون من أن ترى من باعك هو من اشتريته بأغلى ثمن.

*فرح حمادة*

لا أعلم كيف أصف الخذلان، لكنه من الأشياء الخلابة دومًا كرسمة غامضة، تظن أنك قد رسمتها ولكن عندما تتأملها ثانية تصمت كل شيء، وتبدأ المقلتان بالبكاء. وآه من معاتبة المقلتين وآه على خذلانهما، وخذلانها لوحده قضية.

*فرح حمادة*

ماذا لو عاد معتذرًا؟

هل اعتذارك سيشفي ما بداخلي من فراغ روحي؟ أم هل سيشفي ما تركه بداخلي من ألم؟ أم هل سيشفي الجروح والنبضات التي باتت متباطئة في القلب؟ هل سيشفي رضوض روحي؟ لو كانت الجنة بيني وبينك لن أسامح ولن أقبل اعتذارك، وهل الاعتذار يجبر ما تفتت من الروح التي باتت لا تشتهي حتى أن تتنفس؟

وهل اعتذارك سيمحو الهالات السوداء التي باتت لا تفارق عيناي؟ وهل سيصلح تفكيري الذي بات لا يفكر بالاقتراب من أحد؟ هل اعتذارك سيعيد طبيعة النوم إلى عيناي التي باتت باهتة من فرط قلة النوم؟ لا سامحك الله؛ لأنك حتمًا أهلكتني، وإن سامحتك سيكون ذلك من أجل عدم مقابلتك في الآخرة، وعند الله تلتقي الخصوم.

*فرح حمادة*

أسامحهم؟

أسامح من؟

وهل أسامح من كان سببًا رئيسيًا في تدمير مستقبلي، وانتزاع طفولتي، وجعلي أبدو أكبر من عمري همًا وشكلًا؟ ولجوئي إلى عالم غريب لا أنتمي إليه ولا ينتمي إلي، إلى عالم لست منه وليس مني، إلى عالم أصبحت فيه الندالة شهرة، والحرام أصبح حلالًا، أسامحهم على ماذا وماذا؟

هل أسامحهم على أنهم جعلوا مني فتاة انطوائية منعزلة؟ أم على الجروح الروحية التي باتت بداخلي تحطمني كل ليلة؟ أم على إهانتهم لي أمام من يسوى ومن لا يسوى؟ أم على أنهم جعلوا مني ابنة فاشلة؟ أم على تحطيم أحلامي؟ بذمتكم، هل هناك من يسامح على كل هذا الخراب؟

وماذا بعد السماح؟ هل إن سامحتهم سيعاملونني كما أتمنى؟ أم أنهم سيتمادون في إيذائي أكثر مما سبق؟ وإن سامحتهم، هل سيعيدون لي براءة طفولتي التي سرقت بسببهم؟ أم أنهم سيعيدون كرامتي التي أُهينت مرارًا وتكرارًا بسبب أشياء ليس لها معنى؟ أم هل سيعيدون لي شغفي بالحياة من جديد؟ أم روحي التي أصبحت فارغة وباتت تتمنى الموت كل ثانية؟

ألا لا سامحكم الله.

"أحسنوا معاملة أبنائكم، كونوا لهم سندًا وعونًا، ربوهم دون عنف. أنتم سبب، هداكم الله، فالمجروح من عائلته لا يُشفى أبدًا."

*فرح حمادة*

أتذكر سؤال أحدهم ذات يوم قال: "لو كان اليوم يوم الاعتذار العالمي، لمن ستعتذر؟"

أجبته وقلت: "أنا أعتذر كل يوم".

فالتفت إلي بنظرة مليئة بالاستغراب وهو يفكر: أي ذنب هذا الذي يجعل المرء يعتذر كل يوم؟

فقلت: أنا سأعتذر لنفسي كل ساعة وليس يومًا فقط.

سأعتذر لقلبي عن كل شيء أحبه وسبب له الألم، سأعتذر لعقلي عن كل شخص كتبت له كلامًا جميلًا فرد عليَّ بوجع لا ينتهي، سأعتذر لدموعي التي استنزفتها يومًا ما من أجل أشخاص لا يستحقونها، سأعتذر لنفسي لأنني لا أستطيع أن أكون موافقة واجب لها الألم دائمًا.

سأعتذر لها لأنها الشيء الوحيد الذي يستحق الاعتذار.

*فرح حمادة*

روح منهكة

ولا حقيقة لهذا العالم الذي يبدو وكأنه عالم مزيف، حتى أنني لا أعرف حقيقة نفسي. ضيق في صدري لم يكن كما كان سابقًا، يبدو أنه ينتصر علي.

كم أشتاق إليها رغم أنها تخلت عني للأبد، رغم حبي الشديد لها وحبها لي، لكنني تأذيت مرارًا وتكرارًا، فقلبي تمزق، اشتياقي لكِ كاد أن يقتلني.

أنا الشخص الذي شبع من الخذلان، لم أعد أريد البقاء.

أصبحت أشك أحيانًا أنني أعيش في أحد العوالم المرعبة التي رسمتها في لوحاتي، لوحة مليئة بالألوان السوداء والقسوة والفساد والكذب والخداع والقلق والاضطرابات النفسية. هل يمكن أن أعيش في لوحة ولا أعرف طريق الخروج منها؟

الفترة الأخيرة كانت مليئة بالكذب والخداع، كنت أراها بالحب وكل الأشياء الجميلة، ولكن كانت خداعًا مؤسفًا.

*فرح حمادة*

كنت دائمًا أريد معرفة الأسباب فقط، لن أناقشها ولن أحاول تغييرها، أريد معرفتها فقط. فكرة أن تنتهي الأشياء فجأة بإرادتها تقتلني كل مرة.

*فرح حمادة*

كنت أعلم أن هؤلاء البشر ليسوا مثل قلبي الطيب البريء، وثقت بهم وتم تدميري. وكنت أظن أن الأحبة جميعهم يتمنون لي الخير، وأن كل ما يُقال لي حقيقة، كنت أعتقد أن جميع النوايا حسنة، وأن من يوعد عهدًا يفي به ولا يخون، وأن جميع قصص الحب تنتهي بزواج الأميرات، كنت أرى كل الأشياء جميلة، لكن الآن...

*فرح حمادة*

على طيبتها كما هي؛ تحب الناس فيؤذونها، تعطيهم فيبخلون عليها، تبحث دائمًا عن حقها الضائع، على براءتها كما هي؛ تخاف الفقد، ويُرعبها الوداع، على يقينها كما هي؛ تأمل في الله خيرًا وترجوه جبرًا، وفي قلبها يقين بأن الله لن يتركها، لن يظلمها، ولن ينساها. لا شبيه لها، وبرغم ما في حوزتها من آلام، إلا أن نظرة واحدة في عينيها حين ترضى وتبتسم تشفي الجراح.

*فرح حمادة*_

وماذا عنكِ أنتِ؟

أنا؟

نعم، أنتِ، ما بالك متشتتة؟

بدهشة منها: أنا؟ كلا، لستُ متشتتة أبدًا.

إذًا، ماذا بكِ؟

آه، ماذا بي؟ سأقول لكِ ماذا بي، استمعي...

أنا لست متشتتة أبدًا، بل مستغربة، مندهشة مما يحصل.

وما الذي يحصل؟

أستغرب من أولئك الذين نبني لهم في الروح منزلاً، وفي القلب مقامًا ثم...

ثم ماذا؟ أكملي...

ثم يمضون دون أي مقدمات أو تلميح بسيط حتى. أتعجب منهم كيف لهم أن يأخذوا كل ما بداخلنا من مشاعر ويسلبوها ويمضوا هكذا. وأتعجب أكثر من الذين لا يستوعبون أنهم لم يكونوا شيئًا في حياة الذين سلبوا مشاعرهم، وتركوهم منطفئين مدى الدهر.

ألا تبًا لهم! إن مشاعر الإنسان ليست شيئًا عاديًا. هكذا، متى ما شاءوا حضروا، ومتى ما لم يحلُ لهم ذهبوا.

ما هذا الاستخفاف؟ يا لهم من جاحدين.

*فرح حمادة*

لا أعلم أي موسم غادرني أو أي موسم يعيش بي. يُقال نحن في الصيف، لكنني أشعر ببرودة الشتاء، ومرة أخرى يخبروننني بأنني في الربيع لكن الخريف ساكن عالمي، حقًا لا أعلم في أي موسم أنا، فقط أعلم بأنني غارقة في متاهاتي، فقط تتساقط أيامي كأن الخريف سكنني ولا يود الرحيل.

*فرح حمادة*

انتهت الرسائل، لماذا لا ينتهي الشعور؟

ثَمَّةَ أمرٍ ما يصعُب التنفسُ عليه. تارةً أشعر بأنه كلامٌ فارغ، وتستوفيني مرآتي التي أطلُّ عليها كلَّ ليلةٍ وتقول:

"كفى الكذب على نفسكِ، فالفراغ ليس داخلك، إنما فراغ العيون من ملء الدموع."

وتارةً أشعر بأن المرآة على حق، وأنني مليء بالفراغ... أيا ترى، هل يمتلئ الإنسان بالفراغ؟ وكيف للفراغ أن يجتمع مع الامتلاء؟ هنا أدركتُ أنني امتلأتُ بالدموع رغم تلك العيون الصامتة، وأنني امتلأتُ بالكلام بالرغم من صمت الخارج، فأنا المليء، أنا الفارغ.

فرح حمادة

أعيش أسوأ الفترات، فليس الأمر في قلبي، وليس الأمر في عقلي، فلا أنا من خسر في بداية المعركة، ولا من نال شرف الفوز، أعيش ما بين قلب يريد وعقل لا يريد، ما بين عاطفة تحتاج جسدي وعقل يخضع لقانون هذه الحياة. ها أنا الآن تائه أدور حول نفسي مرارًا وتكرارًا، وكأني قد أضعت شيئًا فقدته منذ زمان، وكأني قد خضعت لحكم لا أريده ولا يمكنني تقبله أبدًا، والمؤذي في قصتي أنني مهما تعديت الارتفاعات هبطت إلى القاع، وكأن اللعبة قد بدأت للتو.

فرح حمادة

كيف حالك؟

بخير.

كيف بخير؟ فعيناك لا تقولان هكذا. نقصان وزنك يخبرني بأنك لم تأكل مطلقًا.

فوضى عقلك يود أن أنقذه من صراعاتك.

لا أعلم حقًا ماذا فعلت بك الأيام، لكن اسمح لي أن أضمك إلى صدري، بأن تبعثرك يبعثرني، وتعبك يرهقني. اسمح لي أن أكون بجانبك، فالله يشهد أنني كل ليلة كنت أبتر جزءًا من قلبي حينما أشعر بدمعك الصامت.

فرح حمادة

بعض الكلام بدأ يخرج مني بطريقة غير مفهومة. بلعت كل الحروف التي كان يجب أن أنطقها حتى أصبحت تتعثر في الكلام، وتحولت بعض الحروف إلى كتلة باردة لا تأخذ ولا تعطي شيئًا، لا تكترث لأمر. أذكر حين كنت صغيرة، كانت أمي تراهن على سكوتي، وأبي يطردني من غرفته لأني كثيرة الكلام، وأختي تجلس وحدها حتى لا أشتتها بكلامي، واليوم أصبحوا يطلبون مني أن أتكلم، ولكن كل الكلام أصبح يسكن عقلي، وبعض الجمل تأكلني من الداخل، ياليت أصبح كلامي محط اهتمام. في تلك اللحظة، لا أجد نفسي اليوم واقفة في محطات صمت كل يوم وقطار أفكاري يسير لوحده.

لا أريد أن أسمع أفكاري وحدي كل ليلة وأعيش في أفكاري دائمًا.

فرح حمادة

أعيش في عالمين متناقضين تمامًا، أحدهما شديد الواقعية والآخر خيالي زائف، يرفضان وجودي ويطرداني كل منهما نحو الآخر. أمضي أيامي كلها لا أدرك شيئًا، وتغيب عن ذهني جميع المفاهيم. شعور مرعب لا يوصف ولا يطاق، أُمتنعت جميع الحلول عن إيقافه، والهروب منه بات مستحيلاً.

فرح حمادة

أعمارنا معتقة بالخيبات، جزء طفيف يتوسل المواصلة، وجزء هائل يرغب في الهروب. أصبحنا في الثمانين ونحن في العشرينات من أعمارنا، كل تلك التجارب التي خُضناها، وكل تلك الطعنات التي تحملنا مسؤوليتها في أصغر الأعمار، أعمارنا معتقة بالخيبات. مضينا في الحياة ونحن نخيل تواجدنا سراب. شهدنا تحطم ذلك القلب وموت الأقربين، شربنا كل كؤوس الألم تلك التي لا تترجم بالتأكيد. نحن منهكون، نفذت قوانا كلها، نمشي على أرجل مكسورة. كانت لنا ألوان، ولكن لا أدري متى انسكبنا في السواد؟ نعم، ستأتيك أيام يكون التنفس فيها بحد ذاته بطولة، ولكن تذكر أنك بشكل أو بآخر ستنجو. أتكئ بكل ثِقلك على وحدتك خير من أن تتكئ على كل هؤلاء الذين يجعلونك تشعر بأنك وحيد. واللعنة، لكن الذين رأوا الحزن في أعيننا ومروا كالغرباء.

فرح حمادة